



منذ عام مضى، توعد أمين عام حزب الله بانتصار في سوريا، وخاصة في القلمون، لكن المعركة لا تزال متواصلة. وقبل خطابه الجمعة (27/3) بيوم وبعض يوم قتل ثلاثة من عناصره، بينهم قيادي، لكنه لم يذكرهم في خطابه، تماماً كما يتجاهل سواهم (لماذا؟)، ولم يكن الاحتفال إلا لشهداء القنيطرة لأن الصهاينة هم من قتلواهم.

اليوم يتوعد نصر الله بانتصار جديد، وهذه المرة في اليمن، فحيثما تكون إيران تكون الانتصارات باعتقاده، وما دام قاسم سليماني قد رحل إلى اليمن بحسب بعض الأنباء (أو سيرحل ربما)، فإن الانتصار سيكون من نصيبه، حتى لو كان علينا أن نتجاهل أن معركة تكريت التي وعدوا بحسماها في أيام، فطالت واستطالت رغم الدعم الأميركي وفارق ميزان القوى الرهيب، وكذلك معركة الجنوب السوري، من دون حسم كان قد وعده نصر الله والنظام منذ عامي وأكثر، بل بتقدم للثوار أيضاً.

قلنا مراراً إنه حين تختل البوصلة، سيكون على السياسي أن يمارس الكذب والتضليل،وها هو نصر الله يضطر لأن يظهر كل بضعة أساسيات من أجل لملمة شتات موقفه، ولكي يَعِد جمهوره بانتصار جديد، في ظل أزمة مستحكمة تحتاج المنطقة، وتشعر الجميع بأن إيران تتورط تباعاً في نزيف كبير لا يتوقف.

خطاب الجمعة لنصر الله كان يمنياً بامتياز، وكانت الخلاصة التي توصل إليها تمثل في مقدمة وخاتمة. أما المقدمة فهي أن: "الوضع الجديد في اليمن، المقصود به هو الثورة الشعبية العارمة التي تقدمها حركة أنصار الله وبالتعاون والتأزر والتكافل مع الجيش اليمني وكثير من شرائح وقبائل الشعب اليمني على اختلاف اتجاهاته ومذاهبه". أما الخاتمة فهي أن "هدف الحرب (عاصفة الحزم طبعاً) هو استعادة السيطرة والهيمنة على اليمن، نقطة على أول السطر، والذي لديه كلام آخر يتفضل للنقاش" (انتهى كلامه).

هنا نسأل (السيد): ماذا كان هدف الحوثيين بسيطرتهم على البلاد بقوة السلاح، وهم وكلاءولي الفقيه الذين يعلم نصر الله أن معسكرات كانت تعمل لحسابهم في إيران منذ سنوات بعيدة؟ هل كان هدفهم هو تنمية الأعمال الخيرية، وتوسيع إطار الحرية والديمقراطية في اليمن؟ ومن هي شرائح المجتمع اليمني التي تصطف معه غير أنصار المخلوع الذي ثار الشعب ضده؟

والله لو جيء بأبلغ أهل الأرض، لما كان بوسعي الدفاع عن سيطرة أقلية بقوة السلاح على بلد بأكمله، بمساعدة مخلوع طردته الشعب في ثورة رائعة شهد لها العالم أجمع، لكن نصر الله يحاول التدليس، وفي خطابه يتجاوز هذه الحقيقة، ويتعامل مع سيطرة الحوثيين بصفتها أمراً واقعاً لا مجال للنقاش فيه، وكل ما يمكن الحديث عنه هو كيف ينبغي التعامل معها؛ والوصف

هي الحوار وليس قوة السلاح. والحوار هنا تحت سطوة السلاح، تماماً كما هو الحال في لبنان.

الحوثيون انقلبوا على ثورة شعب، بالتعاون مع طاغية بقوة السلاح، ولم يجد ذلك استنكاراً من قبل نصر الله، بينما ثار الشعب السوري على دكتاتور فاسد، فجاء (السيد) لكي ينصره بقوة السلاح، فهل بعد هذا التناقض من تناقض؟

في خطابه سعى نصر الله إلى تسفيه لأنظمة العربية المشاركة في التحالف ضد الحوثيين، والتذكير بقضية فلسطين والمتجارة بها، وهي لعبة مكشوفة، ذلك أن أحداً لم يقل إن هذه الأنظمة قد حررت فلسطين، بل إن ربيع العرب كان أملاً بتغيير منظومتها قبل أن تجهضه إيران في المحطة السورية.

ولكن هل يعني عدم التحرك حيال فلسطين – وهو المدان والمرفوض من جماهير الأمة، رغم أنه الأكثر تعقيداً في ظل ميزان القوى الدولي المعروف – أن على غالبية الأمة السكوت على التهام إيران لأربعة عواصم عربية مع شهية لا تخفي للمزيد؟

والخلاصة هي أنه إذا كانت أنظمة العرب قد وقفت ضد ثورات الشعوب كما قال وعدد، فإن "ولي الفقيه" قد أجهض الربيع في سوريا، وأجهضه في اليمن بالانقلاب على ثورة الشعب، وهذا لا يستويان في أقل تقدير، ولذلك كان رفض غالبية الأمة لاحتلال إيران أكبر من رفضها لأنظمة القائمة.

كثيرة هي الملامح التي تستحق التوقف في خطاب نصر الله، ومن بينها اتهامه المخابرات السعودية بإرسال الانتحاريين إلى العراق، وهو كلام لا يصدقه أي أحد. ونذكره هنا بأن حببه نوري المالكي قد اتهم بشار الأسد بإرسال الانتحاريين والسيارات المفخخة إلى العراق، وهدده بإرساله للمحكمة الجنائية الدولية.

ولم يتورع نصر الله عن القول علينا وبالنص: "أنا أؤمن بأن سماحة الإمام السيد علي الحسيني الخامنئي إمام المسلمين وولي أمر المسلمين، إنه إمام المسلمين وولي أمر المسلمين". ألا يعني ذلك أن من حق ولي أمر المسلمين أن يفعل بهم ما يشاء، ويقر لشعوبيهم وأوطانهم ما يراه مناسباً؟

هل بعد هذا يُراد لأحد أن يقتنع أن عبد الملك الحوثي يختلف عنه (عن نصر الله) في شيء، أو المالكي مثلاً، فضلاً عن بشار الأسد الذي وضع البلد برمته تحت إمرة قاسم سليماني؟

ولم يتورع نصر الله عن توجيه كلامه للسعوديين قائلاً بنبرة طائفية واضحة: "ألم تعمدوا وتنفقوا أموالاً طائلة لتحويل قبائل من مذهب إلى مذهب؟". ونسبي أن إيران هي من حولت الحوثيين من زيدية – وهو أقرب إلى السنة – إلى شيعةاثني عشرية. هل حصل ذلك بالإقناع، أم بضخ الأموال والأسلحة وبالتحريض؟ هذا مع إقرارنا بأن بعض الخطاب السلفي في اليمن قد ساهم في دفع هؤلاء نحو التطرف في الخطاب، قبل التطرف في السلوك.

إن محاولة تزييف الحقائق في اليمن وسوريا والعراق، وحتى لبنان لن تمر على عقول غالبية الأمة، وهذا الإجماع الشعبي في أوساطها ضد إيران لم يأت عبثاً، ولا هو نتاج التضليل، وإن فلماذا لم يفلح التضليل في دفع غالبية الأمة لتأييد تلك الأنظمة حين كانت تقف ضد ربيع العرب؟

بقي الوعود الجديد بالانتصار، والذي سيتبخر مثل نظيره في سوريا، بصرف النظر عن نتيجة "عاصفة الحزم"، فالشعب اليمني لن يوقف ثورته ضد احتلال إيران (هو كذلك ولو لم يأت جنودها إلى اليمن)، وسيواصل استنزاف أتباعها حتى تعود إلى رشدتها، ويبدو أنها لن تعود قبل أن يصل الاستنزاف مداه النهائي، حتى لو طال في ظل تفاهمها مع أميركا على النموي وبعض ملفات المنطقة، ونذكر نصر الله بأن من أفشلوا الغزو الأميركي للعراق، سيفشلوا من دون شك الغزو الإيراني للمنطقة. والأيام بيننا.

فأصل أخير: في نهاية كلمته قال نصر الله: "على طول التاريخ الغزاة يُهزمون، والغزاة تلحق بهم المذلة"، ما يجعل من الضروري تذكيره بأنه وميليشيات سليماني في سوريا غزوة أيضا، بينما جاءت "عاصفة الحزم" بطلب من رئيس انتخبه الشعب، فيما سيتكلف اليمنيون أنفسهم بضرب وكلاء لمحتل خارجي يجلس في طهران.

الجزيرة

المصادر: